ذنبا آخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين وقال آخرون كلما اذنب انسان حصلت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة قلت لا شك ان تكرر الافعال سبب لحصول ملكة نفسانية فان من اراد تعلم الكتابة فكلما كان تعلم الكتابة اكثر كان اقتداره على عمل الكتابة اتم الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية ولا فكرة فهذه الهيئة النفسانية لما تواردت من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الاعمال اثر في حصول تلك الهيئة النفسانية اذا عرفت هذا فنقول الانسان اذا واظب على الاتيان ببعض انواع الذنوب حصلت من قلبه ملكة نفسانية على الاتيان بذلك الذنب ولا معنى للذنب الا كل ما يشتغل بغير الله وكل ما يشغلك لغير الله فهو ظلمة فاذن الذنوب كلها ظلمات وسواد ولكل واحد من الاعمال السالفة التي اورث بمجموعها حصول تلك الملكة اثر في حصولها فذاك هو المراد من مراتب الملكات في الشدة والضعف مختلفة لا جرم كانت مراتب هذا السواد والظلمة مختلفة فبعضها يكون رينا وبعضها طبعا وبعضها اقفالا قال القاضي ليس المراد من الرين ان قلبهم قد تغير وحصل فيه منع بل المراد انهم صاروا بالايقاع الذنب حالا بعد حال متمرنين عليه وقويت دواعيهم الى ترك التوبة وترك الاقلاع فاستمروا وصعب الامر عليهم ولذلك بين ان علة الرين كسبهم ومعلوم ان اكثارهم من اكتساب الذنوب لا يمنع من الاقلاع والتوبة والجواب قد بينا ان صدور الفعل حال استواء الداعي الى الفعل والداعي الى الترك محال لامتناع ترجح الممكن من غير مرجح فان يكون ممتنعا حال المرجوحية كان اولى وكما سلم القاضي انهم صاروا بسبب ايقاع الذنب حالا بعد حال بحيث قويت دواعيها الى ترك التوبة فقد صار هذا الجانب بسبب الافعال السالفة راجحا فوجب ان يكون الاقلاع في هذه الحالة ممتنعا وتمام الكلام قد تقدم مرارا اما قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاعلم انهم ذكروا في كلا وجوها احدها قال صاحب الكشاف ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وثانيها قال القفال ان الله حكى في سائر السور عن هذا المعتدي الاثيم انه كان يقول ان كانت الاخرة حقا فان الله يعطيه مالا وولدا ثم انه كذبه في هذه المقالة فقال اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولما كان هذا مما قد تردد ذكره في القرآن ترك الله ذكره ههنا وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون من ان لهم في الاخرة حسنى بل هم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وثالثها ان يكون ذلك تكريرا ويكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران اما قوله انهم عن ربهم لمحجوبون فقد احتج الاصحاب به على ان المؤمنين يرونه سبحانه قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة وفيه تقرير آخر وهو انه ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون

وعيدا

وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين اجابت المعتزلة عن هذا من وجوه احدها قال الجبائي المراد انهم عن رحمة ربهم محجوبون اي ممنوعون كما يقال في الفرائض الاخوة يحجبون الام عن الثلث ومن ذلك يقال لمن يمنع عن الدخول هو حاجب لانه يمنع من رؤيته وثانيها قال ابو مسلم لمحجوبون اي غير مقبولين والحجاب الرد وهو ضد القبول فالمعنى هؤلاء المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله وهو المراد من قوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وثالثها قال القاضي الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية فانه قد يقال حجب فلان عن الامير وان كان قد رآه من البعيد واذا لم يكن الحجاب عبارة عن عدم الرؤية سقط الاستدلال بل يجب ان يحمل على صيرورته ممنوعا من وجدان رحمته ورابعها قال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل الاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم والجواب ان من منع عن رؤية شيء يقال انه حجب عنه وايضا من منع من الدخول على الامير يقال انه حجب عنه وايضا يقال الام حجبت عن الثلث بسبب الاخوة واذا وجدنا هذه الاستعمالات وجب جعل اللفظ حقيقة في مفهوم مشترك بين هذه المواضع دفعا للاشتراك في اللفظ وذلك هو المنع ففي الصورة الاولى حصل المنع من الرؤية وفي الثانية حصل المنع من الوصول الى قربه وفي الثالثة حصل المنع من استحقاق اخذ الثلث فيصير تقدير الاية كلا انهم عن ربهم يومئذ ممنوعون والمنع انما يتحقق بالنسبة الى ما يثبت للعبد بالنسبة الى الله وهو اما العلم واما الرؤية اما صرفه الى الرحمة فهو عدول عن الظاهر من غير دليل وكذا ما قاله صاحب الكشاف ترك للظاهر من غير دليل ثم الذي يؤكد ما ذكرناه من الدليل اقوال المفسرين قال مقاتل معنى الاية انهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرون ربهم وقال الكلبي يقول انهم عن النظر الى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه وعن الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته لا بد وان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا اما قوله ثم انهم لصالوا الجحيم فالمعنى انهم لما صاروا محجوبين في عرصة القيامة اما عن رؤية الله على قولنا او عن رحمة الله وكرامته على قول المعتزلة فعند ذلك يؤمر بهم الى النار ثم اذا دخلوا النار وبخوا بتكذيبهم بالبعث والجزاء فقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا الان قد عاينتموه فذوقوه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون اعلم انه لما ذكر حال الكفار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون فقال كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير الاولين واعلم ان لاهل اللغة في لفظ عليين اقوالا ولاهل التفسير اقوالا اما اهل اللغة

